الحلقة الرابعة

حليفنـــا صـــــدام

تأليف: ستيفاني مسينيه
كلود أنجلي

ترجمة : سلام العبودي

هذا الكتاب إبان حرب الخليج ، غالباً ما كان الحديث يدور حول (لوبي موال للعراق). فهل شبكة كهذه موجودة حقاً في فرنسا؟ ما هي إذن بنيتها؟ وهل استطاعت ، عبر ما يقرب من عشرين عاماً ، أن تتحرك على رجال دولة وزراء وعسكريين ، وأن تقنعهم بانتهاج سياسة مؤيدة لصدام حسين؟ وأخيراً ، ما هو تأثيرها الحقيقي؟ يحاول هذا الكتاب الرد على تلك التساؤلات ، عبر وصف لدور قام به رجال غير معروفين بشكل جيد ، عملوا بنشاط في الكواليس ، خلال الفترة الطويلة من عمر الصداقة الفرنسية - العراقية ؛ وكذلك ، عبر سرد تفصيلي لكيفية اتخاذ القرار من جانب أعلى مستوى ، لتزويد صدام حسين بتكنولوجيا نووية وأسلحة متطورة جداً ، وبدعم عسكري ودبلوماسي خاصة في منظمة الأمم المتحدة ، إضافة إلى تسهيلات مالية. وتشمل مادة هذا الكتاب كل رموز تشكيلة الطيف السياسي الفرنسي في الفترة من زمن بومبيدو إلى زمن ميتران ، مروراً بجيسكار ، شيراك ، بار ، موروا ، شيسون وشوفنمان.

الملحق (١)

مقطعان من تقرير سري مؤرخ في ٢٥ آذار ١٩٧٥ حول مهمة نفذها قادة مجموعة داسو Dassault (AMD)ومصانع سنغما SNECMAللفترة من ١٢ لغاية ١٩ آذار ,١٩٧٥ وقد عرضوا خلالها، على سلاح الجو العراقي، بيع طائرة الميراج f1/9K50 بمبلغ ٣٨ر٥ مليون فرنك للطائرة الواحدة؛ وهو سعر يزيد بمقدار عشرة ملايين فرنك على السعر المعروض في حينه لنفس الطراز من الميراج من قبل داسو على زبائنها الأوربيين.

الملحق (٢)

كاتب وصحفي، معروف بمواقفه المؤيدة للعرب، فيليب دي سان روبير Philippe de Saint-Robert كان يجري استقباله، في الأليزيه، من قبل جورج بومبيدو.
في تشرين الثاني ١٩٧٤، وقبل شهر من أول رحلة لجاك شيراك إلى بغداد، نشر سان روبير، في جريدة لوكوتيديان Le Quotidien، مقالة أعلن فيها السياسة التي سيتم انتهاجها مستقبلاً تجاه العراق.
تتضمن هذه الوثيقة رسالة توصية، مؤرخة في ٢٧ شباط ١٩٧٩، كتبها جاك شيراك، عمدة باريس في حينها ورئيس حزب التجمع من أجل الجمهورية RPR، وبعثها إلى السفير العراقي في باريس، نوري إسماعيل الويس، وقد أوصى فيها بمنح سمة لسان روبير.
يذكر شيراك في رسالة التوصية هذه أنه قد أشار على الصحفي سان روبير مؤكداً أن ينقل أخلص تحية قلبية وودية إلى صديقه صدام حسين، إن توفرت له فرصة مقابلته. وتوفير هذه الفرصة هو ما طلب الصحفي من شيراك مساعدته فيه لدى السفير العراقي.

الملحق (٣)

تتضمن الوثيقة (أربع صفحات)، التي تعتبر من أسرار الدفاع، صورة اتفاق، وقع في ٢ حزيران ١٩٨٣، وهو عبارة عن عملية تغيير وجهة خمس طائرات بموجب عقد أبرم بترتيب قانوني تقوم بموجبه البحرية الفرنسية بإعارة خمس طائرات سوبر إيتاندار Super-Etrndardإلى مصانع داسو لمدة سنتين. وتقوم داسو ببيعها إلى العراق، بشرط إعادة شرائها عام ,١٩٨٥ ومن ناحية عملية، فإن ما جرى هو عملية تزويق لإعارة حاولت هيأة أركان البحرية الفرنسية معارضتها.

الملحق (٤)

لم يكن قد مضى شهر على تولي شيراك رئاسة الحكومة، حين عقد هذا الاجتماع في مقر رئيس الوزراء، في ١٦ نيسان ,١٩٨٦ لقد اتخذ رئيس الوزراء قراره بهذا الشأن: إن العقد ((جوبتير ((Jupiterسيجري التوقيع عليه وسيتم السماح لشركة تومسون براندت Thomson-Brandtببيع العراق مدافع ذات مدى ٢٥ كم. وقد ألح باتريس فيال Patrice Vial، ممثل إدوار بالادر Edouard Balladur، وزير المالية، على الحصول على ضمانات بشأن تسوية العراق لديونه المدنية مقابل هذا العقد. ولكن، لا يبدو أنه قد أقنع مكتب جاك شيراك.
تتضمن هذه الوثيقة السرية (أربع صفحات)، التي تعتبر من أسرار الدفاع، المؤرخة في ١٧ نيسان ١٩٨٦، صورة لنسخة من محضر الاجتماع الوزاري المشترك الذي عقد يوم ١٦ نيسان ١٩٨٦، في قصر ماتنيون، برئاسة المستشار الدبلوماسي في مكتب رئيس الوزراء. ومن أهم ما ورد فيه:
لقد كانت وزارة الخارجية تؤيد توقيع هذا العقد من أجل مساعدة العراق الذي يمر بموقف صعب نتيجة هبوط أسعار النفط والدولار؛ فضلاً عن الصعوبات العسكرية، بعد سيطرة إيران على أراض عراقية، في الفاو وكوردستان. وكذلك كان موقف وزارة الدفاع؛ في حين كان رأي وزارة التجارة الخارجية أنه من الضروري التوصل أولاً إلى ترتيب مع العراق حول آجال الدفع المستحقة لعام ,١٩٨٦ وهي ترى ضرورة التمسك بمبدأ الدفع المباشر في العقود العسكرية. كما تقترح زيادة في امتيازات فرنسا من الصادرات النفطية العراقية.
الملحق (٥)
على وزارة المالية أن تتدبر أمرها، و إلا ..
بعد تشكيل حكومة شيراك بأربعة أشهر، طلب العراقيون إرجاءً جديداً "إعادة جدولة" لديونهم. وافق شيراك. أما بالادور Balladur، فقد بدا مرتاباً. وهذه الوثيقة السرية تتضمن محضر اجتماع عقد بتاريخ ١٥ تموز ١٩٨٦ في قصر ماتينيون برعاية فيك Ficqممثل رئيس الوزراء جاك شيراك. وكُرس الاجتماع للعراق، وجرى فيه بحث ثلاثة مواضيع رئيسية: الشؤون المالية، الشؤون العسكرية، والميكانيكية النفطية. ولقد هدد ممثل شيراك في الاجتماع بأنه سيتعرض لغضب رئيس الوزراء الشديد إذا لم تتم الموافقة على الطلب العراقي.

الملحق (٦)

مقطع من نشرة أعدها المستشار التجاري في سفارة فرنسا لدى العراق، في كانون الثاني ١٩٨٧، ولم تكن نبرتها ((دبلوماسية)) ولا مقنعة. فتحت عنوان: (إعلام أم تضليل؟)، كتب ما يلي:
"تبقى السياسة الفرنسية تجاه النزاع العراقي- الإيراني قائمة على دعم معلن بصفة مكشوفة تجاه العراق، "البلد الصديق والحليف لفرنسا" كما قال هذه العبارة رئيس وزرائنا.
على العكس من هذا، تتحول بعض وسائل الإعلام الأوربية (فاينانشال تايمز، لوموند، هيأة الإذاعة البريطانية، إذاعة فرنسا الدولية، وغيرها ...) لتصبح نقطة انطلاق حقيقية للمعلومة المفبركة في طهران. وهكذا، فإن الأخبار التي بثت على نطاق واسع، أثناء الهجوم الإيراني، قد تبينت أما متشائمة للغاية بالنسبة لقدرة العراق على الصمود، أو كاذبة قطعاً مثل الإعلان عن وجود القطعات الإيرانية على بعد ٥٠٠ متر من البصرة.
وأمام الغياب الواضح للموضوعية، يتساءل مستشارو التجارة الخارجية في بغداد، وهم المطلعون بشكل مباشر على الحدث، عن بواعث هذا التوجه الإعلامي ونتائجه على تحديد ستراتيجية تجارية لشركائهم، وتبني خيارات بالنسبة لمسؤولي الإدارات".

الملحق (٧)

رسالة سرية من شيراك إلى صدام حسين
هذه البرقية المجفَّرة، المؤرخة في ٢٤ حزيران ١٩٨٧، لم يجر إرسالها إلى قصر الأليزيه. كما أن عنونتها: "رسالة إلى السفير - ليست للتوزيع" تعني كذلك أن المرسل إليه، موريس كوراج Maurice Courageيجب أن يكون الشخص الوحيد الذي يقرأها قبل تسليمها للمرسل إليه النهائي.
لقد اتسمت رسالة شيراك بلهجة ودية، تذكر بالروابط التي بدأت منذ عام ,١٩٧٤ وهي تمثل التزاماً شخصياً من شيراك بالدفاع عن العراق أمام منظمة الأمم المتحدة. إن بعض مراجع الإشارة قد حجبت على الصفحة الأولى للبرقية لتفادي تحديد المصدر.
. محتوى الوثيقة.
وزارة العلاقات الخارجية
برقية صادرة
في ٢٤ حزيران ١٩٨٧
رسالة إلى السفير - ليست للتوزيع
الموضوع: رسالة من رئيس الوزراء إلى الرئيس صدام حسين
تجدون أدناه نص الرسالة التي بعثها رئيس الوزراء إلى الرئيس صدام حسين، والتي سيتم تسليمها لسيادته بواسطة السيد ميشيل نوار.
سأكون ممتناً لكم توليكم إعداد ترجمة لهذا النص، بهدف تقديمها برفقة الرسالة إلى رئيس الدولة العراقية من قبل مبعوث رئيس الوزراء.

مستعدون لتزويد الكويت بالأسلحة مقابل مفاعل نووي

بداية النص
السيد الرئيس، صديقي العزيز،
انتهز فرصة مهمة وزير التجارة الخارجية، ميشيل نوار، في بغداد، وهو أحد المقربين مني، والذي استقبلتموه في تشرين الثاني الماضي، لينقل لكم خالص مشاعر التقدير والصداقة، الموجهة، عبر شخصكم، إلى الشعب العراقي. وهي فرصة بالنسبة لي لأطلعكم على أفكاري حول المواضيع التي تهم بلدينا.
وكما أوضح لكم السيد رمضان، فإني طلبت من السيد نوار أن يكون مبعوثي الشخصي في بغداد لاختتام المفاوضات التي تعرفونها. إنها تتعلق بالفصل الجوهري في العلاقات الفرنسية -العراقية، سواء في الظروف الحالية أم في المستقبل. إنني على قناعة تامة من أن مباحثات السيد نوار في بغداد ستقود إلى الاتفاق النهائي، المقنع والمقبول لدى الطرفين؛ وهو ما أتمناه. إن التعاون الذي بدأ منذ أكثر من أثني عشر عاماً، بدفع مشترك من قبلنا، في هذا المجال الأساسي لسيادتكم واستقلالكم وأمن بلدكم، يشكل محوراً رئيسياً لعلاقاتنا. وهذا إلى جانب المشروعات الأخرى التي باشرت بها فرنسا والعراق، أو تلك التي من المقرر المباشرة بها سوية، لمصلحة بلدينا.
ومهمة السيد نوار في بغداد قد وفرت لي الفرصة كذلك كي أكرر لكم القول كم أنا أشاطركم مشاعركم تجاه الضرورة القصوى لإجراء تسوية عادلة وشاملة للنزاع مع إيران. ففرنسا تعلم ما يعنيه استمرار النزاع من تضحيات للشعب العراقي.
إن فرنسا مهتمة كذلك بالتهديد الذي يمثله هذا النزاع على أمن دول الخليج، كما على حرية الملاحة في هذا الممر المائي الدولي. لذلك، فإن من واجب كافة الدول المسؤولة أن تضاعف الجهود لوضع نهاية للمأزق الحالي. ونرى، كل يوم، أن مستقبل هذه المنطقة، الذي يتعرض لمراهنات كبيرة، لا يمكن أن يتم تصوره خارج عودة للسلام وإقامة علاقات حسن جوار بين الدول المعنية، عبر التاريخ والجغرافية، للعيش سوية، في إطار احترام الخيارات الخاصة بكل بلد. ونحن نعلم أن العراق مستعد لذلك منذ زمن طويل. ونحن سعداء لأنه رد بالإيجاب على دعوات المجموعة الدولية بهذا المعنى.
هذه القناعة بأن لن يكون الحل العسكري، هنا مثلما هو الأمر في أماكن أخرى، هو الحل لخلاف بين دولتين، وإن تسوية شاملة تحترم الحقوق الأساسية للطرفين هي قناعة في مصلحة جميع دول المنطقة والمجموعة الدولية كلها، كل ذلك يبرر اليوم جهدا جماعياً، بشكل خاص في مجلس الأمن، الذي عهد إليه ميثاق الأمم المتحدة مسؤولية رئيسة في حفظ السلام والأمن الدوليين.
إن فرنسا تساند بعزم وتصميم وبفاعلية هذا المسعى. ورأيها إن مجلس الأمن يجب أن يتبنى أخيراً إجراءات فعالة تضمن وقف العمليات الحربية وافتتاح مفاوضات شاملة. المهمة ليست سهلة، لكن الموقف الحالي، وتوجه بلدي وصداقته لبلدكم تتطلب القيام بها بشكل جيد. ويبدو لي أن ذلك شعور الأعضاء الدائمين الآخرين في المجلس. على أية حال، كونوا واثقين يا سيادة الرئيس، إن فرنسا من جانبها، لن تدخر جهودها لحث مجلس الأمن والأمم المتحدة على التحرك بحزم.
في الوقت ذاته نحرص باهتمام خاص، على أن لا تتجه الأفكار المطروحة في مجلس الأمن إلى تحديد إجراءات يمكن أن تفضي، تحت غطاء المساواة في التعامل بين طرفي النزاع، إلى ضرب العراق ظلماً وحرمانه من الوسائل الضرورية لضمان أمنه. أجدد لكم، بشأن هذه النقاط الجوهرية، تأكيد اهتمامي الشديد.
تلك هي الملاحظات التي أردت أن أعلمكم بها بمناسبة زيارة السيد نوار. إن الوجود المتزايد للقوات البحرية للقوى العظمى في الخليج وتوصيات قمة فينيسيا يمكن أن تهيئ مادة لأفكار أخرى. وبإمكان السيد نوار، إذا ما رغبتم، استعراض نظرتنا حول هذه الموضوعات. سأكون بالطبع سعيداً في أن يستطيع مبعوثي الوقوف على وجهة نظركم في جميع المسائل التي ترون من المفيد بحثها معه.
وأنا أكرر لكم الأهمية التي أوليها لاستمرار روابط الصداقة والتعاون بين بلدينا، أرجو أن تتقبلوا، سيادة الرئيس التعبير عن تقديري العالي وذكرياتي الشخصية المخلصة.
جاك شيراك

الملحق (٨)

بعد ثلاثة أسابيع من تسلم صدام حسين رسالة جاك شيراك، أجرت صحيفة الأنباء الكويتية لقاءً مع سفير فرنسا في الكويت. إثبات اللقاء صورة للسفير مع الصحفية فاطمة منصور. العنوان والمعلومات التي ظهرت في ٢٠ تموز ١٩٨٧، " سفير فرنسا يصرح لنا نحن مستعدون لتزويد الكويت بالأسلحة. مفاوضات مع العراق لإعادة بناء مفاعله النووي". وحال ظهور المقال كذب السفير أنه تحدث عن إعادة بناء مفاعل تموز.
الملحق (٩)
مذكرتان من دائرة الخزانة أعدتا عام ١٩٨٩ وتضمنتا فحصاً للديون العراقية من جانب؛ ومن جانب آخر، خطر تراكم الديون غير المدفوعة، إذا ما سمح لشركة داسو بيع طائرات ميراج إلى بعض البلدان؛ ومنها، العراق.

الملحق (١٠)

١- بعض الأمثلة على دراسات وبحوث تمت عام ١٩٩٠ في شركات ومختبرات فرنسية من قبل ضباط عراقيين برتب عالية (يتضمن الجدول أسماء عدد من الضباط وعناوين البحوث التي أعدوها)
٢- السماح لإدارة البحوث في وزارة الدفاع الفرنسية بتدريب ضابطين يدرسان " مرحلة" من تصنيع وقود مستقبلي للصواريخ. وهذا السماح هو موضوع الوثيقة المتضمنة مقطعاً من مشروع دراسة أرسل في ١٣ آذار ١٩٨٩ من قبل البروفيسور كوهين آداد (Cohen-Adadمدير مختبر الكيمياء الفيزيائية في جامعة كلود برنار في مدينة ليون) إلى المفوضية العامة للتسلح.

الملحق (١١)

أثناء زيارة وزير الدفاع الفرنسي جان بيار شوفنمان إلى بغداد، أجرت معه مجلة (ألف باء) العراقية لقاءً وصف فيه صدام حسين بأنه "قائد شجاع ومحبوب" يعمل من أجل السلام.